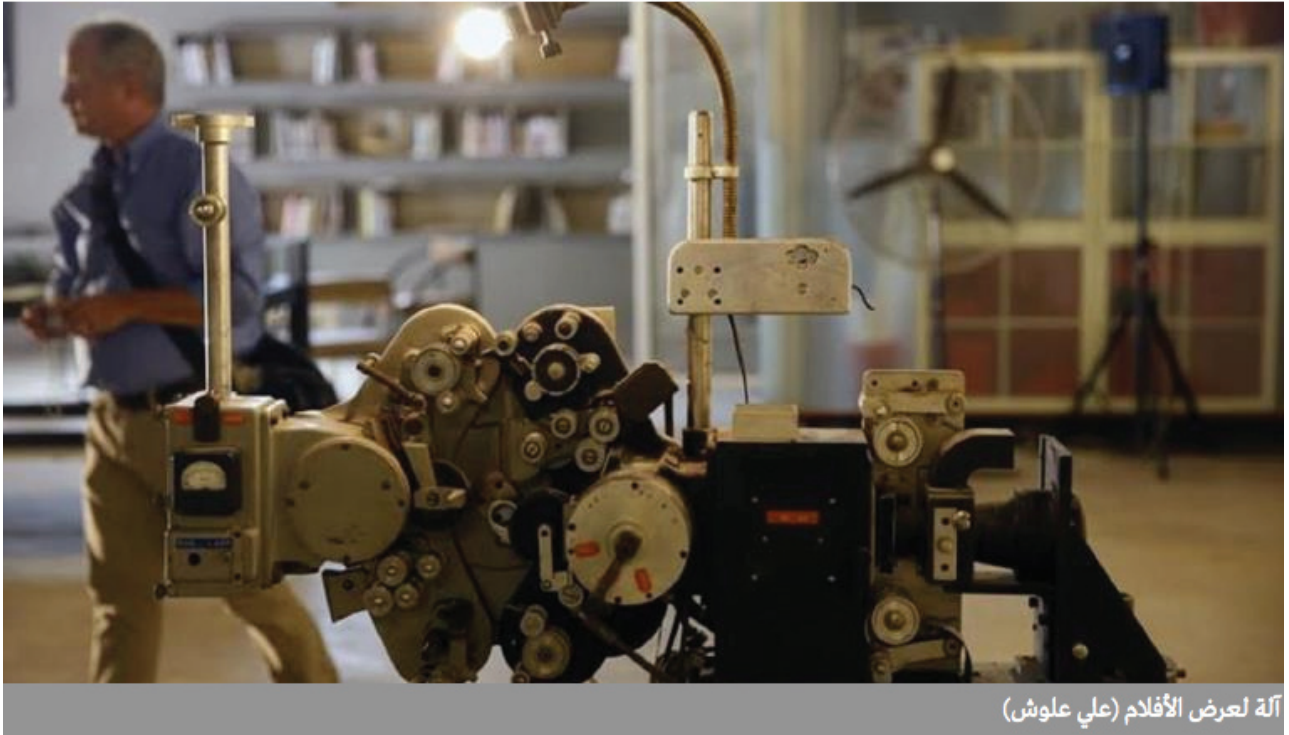


في اليوم العالمي للأرشيف: 'أمم' تحيي استديو بعلمك

بتول خليل



آلة لعرض الأفلام (علي علوش)

إلى فترة الستينيات، تعيدنا مجموعة مقتنيات استديو بعلمك، الحاضرة في معرض استعادي افتتحته جمعية "أمم للتوثيق والأبحاث"، يوم أمس، ضمن فعاليات احتفالها بـ "يوم الأرشيف العالمي"، وانسجاماً مع رؤيتها في أن "الاعتراف بماض وذاكرة لبنان، يتطلب جمع الأدلة والمحفوظات بعناية وحمايتها وتقديمها للعموم".

تفاصيل كثيرة أنقذتها جمعية "أمم"، في العام ٢٠١٠، من ذاك المبنى المهجور والمهدد بالهدم في منطقة سن الفيل، حيث أنشئ "استديو بعلمك"، قبل أكثر من خمسين عاماً، على أيدي الفلسطينيين، رجل الأعمال بديع بولس، والمصري يوسف بيدس، ليتوج بعدها بلقب أول وأهم شركة إنتاج وتسجيل للموسيقى والأفلام في لبنان والعالم العربي. ويأتي استحضار الاستديو في هونغار "أمم"، كمحاولة لترميم ذاك الجزء المتهال من ذاكرة لبنان السينمائية والفنية، ولتذكيرنا بأن سياسات الإهمال والتقصير أودت بكثير من مرافقنا الثقافية والتراثية، وطاولت جزءاً هاماً من كنوز "استديو بعلمك"، قبل أن تستلحق "أمم" ما تبقى منها.

يحتضن المعرض قسماً من أبرز المواد التي جمعتها الجمعية اللبنانية. لكن أول ما يستوقفك عند دخول الهونغار هو طريقة العرض التي تصنعها تأثيرات سمعية وبصرية، حيث تستقبلنا ست جداريات تحكي بعضاً من قصص الاستديو، في ظل إضاءة خافتة وعلى وقع موسيقى للأخوين الرحابني، اللذين شكّل "استديو بعلمك" جزءاً من ذاكرتهم التاريخية. لعل "أمم" أرادت استحضار روح المكان وعبقه، كأننا في حضرة الاستديو، نجوب بين محفوظات تتنوع بين وثائق وعقود بيع وبرقيات وبكرات أفلام ١٦ و٢٥ ملم وعدد من أدوات ومعدات الإضاءة والعرض والتصوير

والتسجيل، وصولاً إلى مفاتيح أبواب الأقسام ودفاتر حسابات وفواتير كهرباء. وفي زاوية جانبية، شاشة تعرض مشاهد من أربعة أفلام وتسجيلات استطلعت "أمم" إنقاذها ورقمنتها وعرضها بصورة مقبولة.

التأمل في تفاصيل هذه المحفوظات، يكفي لشحن خيالنا بصور لبيروت في عصرها الذهبي، إذ يكتشف الزائر عناوين لأفلام شكلت جزءاً من نجاحات السينما اللبنانية والعربية آنذاك، منها فيلم "كفاح حتى التحرير"، "مدرسة الرتباء"، و"رسول الغرام" لأبوسليم. كما تستوقفنا قصص من نجاحات وخيبات الاستديو، تحدثنا عنها جداريات المعرض والكتيبات الموزعة فيه. فاستديو بعلبك، تأسس في العام ١٩٥٢، باسم أولي هو "الشركة اللبنانية للتسجيلات الفنية"، وتخصص بتسجيل وإنتاج الموسيقى والأغنيات والأفلام السينمائية اللبنانية والعربية. وكان صرحاً جامعاً لهامات فنية عملاقة مثل أم كلثوم، عبد الحليم حافظ، فريد الأطرش، الأخوين منصور وعاصي الرحباني، فيروز وغيرهم من النجوم الكبار في عالم الموسيقى والتمثيل والإخراج. لكن حال هذا الصرح الفني التاريخي تقاطع، بعد سنوات الحرب اللبنانية مع أحوال رموز ومرافق تراثية وثقافية أخرى، كان الإهمال مصيرها. إذ أفضل الاستديو مرة أولى في منتصف الثمانينيات ومرة ثانية وأخيرة في منتصف التسعينيات، بعد إعادة افتتاحه العام ١٩٩٢.



من موجودات استديو بعلبك (علي علوش)

"لم يبق من إرث استديو بعلبك الموسيقي، سوى عدد قليل من الاسطوانات، التي لم تتمكن من معرفة محتواها، لعدم وجود معدات تساعدنا على إنقاذها وتشغيلها"، تقول رئيسة جمعية "أمم"، مونيكا بورغمان لـ "المدن". "نحننا أنقذنا تقريباً كل ما وجدناه، غير أننا لم نعرف مصير التسجيلات الموسيقية. لكن من المرجح أن تكون قد نُهبت قبل العام ٢٠١٠، حينما كانت أبواب الاستديو مشرعة للأيدي العابثة".

وفيما تمكنت "أمم" من الاستحازة، على سبيل الأمانة والصون، على أشرطة مسجلة بالصوت والصورة، قامت في تموز/يوليو ٢٠١١، باستضافة الخبير الألماني هيرالد براندس، الذي عمل على فحص الأشرطة وتصنيفها، وحتى على إتلاف البعض منها، تلك التي يمكن أن تعرض أشرطة أخرى للضرر. وفي ختام مهمته، وضع براندس تقريراً مفصلاً يوصي فيه بالمسارعة إلى نسخ هذه الأشرطة من حواملها المادية إلى حوامل رقمية. "نحن نعلم أن هذه الأشرطة، هي في وضع سيء للغاية، ولذلك نحن نحذر من الوقت. إذ علينا إيجاد حلول لها قبل ثلاث أو أربع سنوات، وإلا فإن كل هذه المواد ستضمحل وتختفي"، تقول بورغمان.

وتشير بورغمان إلى أن "لبنان يمتلك معدات لرقمنة الأفلام، لكنها غير مجهزة لرقمنة أشرطة أفلام معطلة كالتى بين أيدينا، والبالغ عددها بين ٥٠٠ و٦٠٠ فيلم. ولهذا، نحن بدأنا عملياً بعملية تنظيف لبيكرات الأفلام. ويساعدنا في هذه المهمة خبير مختص من السويد، إضافة إلى المخرج اللبناني، فيليب عرفتجي، الذي قام بنقل بعض من بكرات الأفلام إلى فرنسا لرقمنتها". علماً أن "إحضار معدات متخصصة إلى لبنان، هو أمر معقول، لكنه في الواقع جهد معقد للغاية. فهذه المعدات يقدر ثمن الواحدة منها بحوالي ألفي دولار. ولا أحد سوف يتبرع بهذا المبلغ". لذلك يتمثل هدف "أمم" اليوم، "بإيجاد شريك ممول لهذا المشروع، من فرنسا أو ألمانيا أو سويسرا، لتتمكن الجمعية من إرسال الأشرطة إلى أوروبا، كي يتم نقلها إلى حوامل رقمية، ومن ثم إعادتها، مع البيكرات الأصلية للأفلام، إلى لبنان".

الحديث عن حلول مطروحة مع جهات خارجية، يؤكّد غياب دور الوزارات المعنية بتحمّل مسؤولياتها والتحرك باتجاه إيجاد أو دعم الحلول لإنقاذ إرث استديو بعلبك وغيره من المرافق. وفيما تلفت بورغمان إلى تواصلهم الدائم مع وزارتي الثقافة والإعلام، ومع بعض الجهات الدولية أيضاً، لكنها تعود وتؤكد أن "ما من تحرك فعلي حصل حتى الآن، بل يقتصر التفاعل على تقارير مكتوبة ووعود متكررة. ونحن لا نريد الانتظار أكثر. ولهذا نحن نعمل اليوم بشكل متوازٍ بالبحث عن حلّ سريع وبديل، لاحتمال فشل التعاون مع الجهات الرسمية اللبنانية في إنقاذ هذا الجزء من ذاكرة وتراث ولبنان".